

بالحديث عن خدمة الخلفاء ، ومات قاتلاً من الحج فدفن بمدينة  
طرابلس .

وأم المنصور من أسرة تميمية - أسرة بني برطال -  
ويقول القسطل في المنصور :

تلاقت عليه من تميم ويعرب شمس تلالا في الملا ويدور  
من الحيرين الذين أكتفهم سحائب تهى بالندی وبحور

- ٢ -

ونشأ محمد ( المنصور ) نجيباً ، ماهجاً ، عظيم الهمة ، كبير  
القلب . أترعنه أيام طلبه العلم بقرطبة نوادر تفي باعتداده بنفسه  
واستشرافه للعالمى . يقول محمد بن إسحق التميمي :

« كان محمد بن أبي عامر نازلاً عندي في حجرة فوق بيتي ،  
فدخلت عليه في بعض الليالي في آخر الليل ، فوجدته قاعداً  
على الحال التي تركته عليها أول الليل حين فصلت عنه ؛ فقلت له :  
ما أراك نمت الليلة . قال : لا . قلت : فما أسهرك ؟ قال : ففكرة  
عجيبة . قلت : فيما ذا كنت تفكر ؟ قال : فكرت إذا أنفسي إلى  
الأمم ومات محمد بن بشير للقاضي ، بمن أستبدله ، ومن الذي  
يقوم مقامه ؟ بُجِلت الأندلس كلها بخاطري ، فلم أجد إلا رجلاً  
واحداً . فقلت : لعله محمد بن السليم . قال : هو والله ، لشدة  
ما اتفق خاطري وخاطرك »

وكذلك رشحته للعالم نفسه العظيمة وآماله الكبيرة ،  
والله حيث يضع نفسه

# المنصور بن أبى عامر

للكور عبد الوهاب عزام

[ مخرجة من مفاخر التاريخ العربي ، ومثل من الهمة  
الطاعة ، والنفس المهامة ، والنزم الذي لا يفلى ]



- ١ -  
ينتسب إلى قبيلة  
معاقر إحدى قبائل اليمن .  
دخل جده عبد الملك بن  
عامر الأندلسي في جند  
طارق بن زياد ، وأقام بمد  
الفتح في الجزيرة الخضراء  
فكان له ولبنيه شأن ؛  
وانتسب أبو عامر جدُّ

للمنصور بالخلفاء في قرطبة ، وعدت أسرة أبي عامر في أسر  
الوزراء . وكان أبو حنص والد المنصور متأهلاً زاهداً ، شغل

الحاكم على فرض أن خوف الحاكم كان ذريعة من ذرائع نشر الإسلام  
فالشاهد الذي تعلمه وتكسوه ليقول قولك في إحدى  
القضايا ، كالشاهد الذي ينظر إلى السوط في يديك فيقول ذلك  
للقول : كلاهما لا يأخذ بإفتاح الدليل ولا بتفاد الحججة ولا يدفع  
عن عقيدته دفع المعارف البصير

وصفة ما تقدم أن الإسلام لم يوجب القتال إلا حيث  
أوجبه جميع الشرائع وسوقته جميع الحقوق ، وأن الدين  
خاطبهم بالسيف قد خاطبهم الأديان الأخرى بالسيف كذلك :  
إلا أن مجال بينها وبين انتصائه أو تبطل عند أبنائها الحاجة  
إلى دعوة التبرء إلى أديانها ، وإن الإسلام عقيدة ونظام ، فهو  
من حيث العقيدة قد نشأ وتأسس قبل أن تكون له قوة ، وهو  
من حيث للنظام شأنه ك شأن كل نظام في أخذ للناس بالطاعة  
ومنهم أن يخرجوا عليه .  
هباس محمود العقاد

« والحقيقة السادسة » أن المقابلة بين ما كانت عليه شعوب  
العالم يومئذ قبل إسلامها وبمد إسلامها تدل على أن جانب الإسلام  
هو جانب الإفتاح لن أراد الإفتاح

فقد استقر السلام بين تلك الشعوب ولم يكن له قرار ،  
وانتظمت بينها العلاقات ولم يكن لها نظام ، وإطمان الناس على  
أرواحهم وأرزاقهم وأعراضهم وكانت جميعها مباحة لكل غاصب  
من ذوى الأمر والجاء

فاذا قيل إن الدعوى إلى الإسلام لم يقتنوا بفضله سابقين ،  
فلا ينفي هذا القول أنهم اقتنوا به متأخرين ، وإن الإسلام  
مقتنع لن يختار ويحسن الاختيار إلى جانب قدرته على إكراه من  
يركب رأسه ويقف في طريق الإصلاح

ومن نظر إلى الإفتاح للعقل تسارى لديه من يستميك إلى  
العقيدة بتوزيع الدواء والطعام ، ومن يستميك إليها بالخوف من

نفس طهارة وعزيمة ماضية وخلق صرير. ولم تكن هيئته في نفوس أعداء الأندلس دون هيئته في الأندلس، فقد أولع بالنزوة وانتدب للجهاد ففزا خمسين غزوة في شمالي الأندلس، ولم تنكس له راية، ولا بمدت عليه غاية، حتى بلغ (سنت ياقوب) في أقصى الجزيرة إلى الشمال والغرب، وما طمع أحد من المسلمين قبله أن تنال همته هذا المكان الأقصى. لقد صدق صاحب البيان حين قال: «ثم انفرد بنفسه وصار ينادي صروف الدهر: هل من مبارز؟ فلما لم يجد حمل الدهر على حكمه فانقاد له وساعده. فاستقام أمره منفرداً بملكه لا سلف له فيها. ومن أوضح الدلائل على سنده أنه لم ينكب قط في حرب شهدها، وما توجهت قط عليه هزيمة، وما انصرف عن موطن إلا قاهراً غالباً على كثرة ما زاول من الحروب، ومارس من الأعداء، وواجه من الأمم؛ وإيها خاصة ما أحسبه يشركه فيها أحد من الملوك الإسلامية. ومن أعظم ما أعين به، مع قوة سنده وتمكن جنوده، سعة جوده، وكثرة بذله؛ فقد كان في ذلك أعجوبة الزمان»

— ٥ —

وكان التصور عادلاً شديداً في الحق لا تأخذه فيه محاباة ولا شفقة، ولا يعرف في إنفاذ الحق هواة: «جاء إلى مجلسه رجل فناداه يا ناصر الحق لي مظلمة عند هذا الفتى - وأشار إلى أحد فتياه - وقد دعوته إلى الحاكم فلم يأت. قال المنصور: اذكر مظلمتك، ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية. وقال الفتى: انزل صاعراً وسار خصمك في مقامه حتى يرفك الحق أو يضمك. وقال لصاحب الشرطة: خذ بيد هذا الظالم الفاسق وقدمه مع خصمه إلى صاحب المظالم بنفذ عليه حكمه بأغلظ ما يوجب الحق»

ولما عاد الرجل المتظلم إلى المنصور يشكره قال له: «قد انتصفت أنت فاذهب لسبيك. وبقي انتصاف أنا ممن تهاون بمنزلي». وعاقب الفتى وعزله

ما ثبت سلطان هذا الرجل للطاح المتسلط المقدم إلا بهذا العناد من العدل والإنصاف وإيثار الحق على نفسه وخاصته وكان له فساد فاحتاج إليه يوماً فقبل له إنه في حبس للقاضي لحيف كان منه على امرأته. فأمر المنصور بإخراجه مع رقيب من رقباء السجن ليفصده ثم يسود إلى عبسه. وشكا الرجل إلى المنصور ما ناله من للقاضي فقال: «يا محمد إنه القاضي؛

صار محمد من أعوان قاضي قرطبة محمد بن السليم، ثم تقلب في القضاء، وجعل وكيلاً لعبد الرحمن ابن الخليفة المستنصر وأمه. ولما مات عبد الرحمن، جعل وكيلاً لأخيه هشام، ورتب له خمسة عشر ديناراً كل شهر وعرف الخليفة قدر الرجل، فكان يندبه فيما يعضل من الأمور، ثم ولاة للشرطة الوسطى. ولم يأل ابن أبي عامر جهداً في التقرب من هشام وأمه صبح، وكانت ذات مكانة عند الخليفة وعهد الخليفة إلى ابنه هشام فخرص ابن أبي عامر على أن يحتفظ لهشام بولاية العهد، ثم الخلافة بعد أبيه، على كثرة ما اجتهد للمقابلة في تولية المغيرة بن عبد الرحمن الناصر عم هشام وتولى قيادة الجيش إلى غزوة نكص عنها كبراء الدولة، ورجع منها مظفراً فزاد هيبة ومكانة. ثم ولي شرطة قرطبة فسيطرت على المدينة هيئته وعدله. فأمن الأخياري وسبكن الأشرار يقول صاحب البيان المترب:

«فضبط محمد المدينة ضبطاً أنسى أهل الحضرة من سلف من أفراد الكفاة وأولى السياسة، وقد كانوا قبله في بلاد عظيم يتحارسون الليل كله، ويكابدون من روعات طرأته ما لا يكابد أهل الثغور من العدو. فكشف الله عنهم بمحمد بن أبي عامر وكفايته وتنزهه؛ فسدى باب الشفاعات، وقمع أهل الفسق والدمارات، حتى ارتفع البأس وأمن الناس. وأمنت عادية المنجربين من رجال السلطان حتى لقد عثر على ابن له فاستحضره في مجلس للشرطة وجلده جلداً مبرحاً كما كان فيه حمامه. فانقطع الشر جملة»

ولما رجع من غزائه الثالثة ظافراً رفعه الخليفة إلى الوزارة وجعل راتبه ثمانين ديناراً وهو راتب الحجابة، ثم شارك أبا جعفر الحاجب ثم استبد بالحجابة عام سبعة وستين وثلاثمائة؛ فقد بلغ أرفع مناصب الدولة

سيطر ابن أبي عامر سبعة وعشرين عاماً على الأندلس كلها فصرف أمورها في الحرب والسلام كما يشاء، ولم تجتمع أمور الأندلس في يد واحدة قادرة إلا يد عبد الرحمن الناصر وبد المنصور ابن أبي عامر. فأما للناصر فقد ورث ملكاً ثبتته رأيه وعزمه ومضاؤه وإقدامه، وأما ابن أبي عامر فقد رفعه إلى السلطان